Received on 13-02-2025
Accepted on 25-11-2025
Published on 11-12-2025

المجلة العربية، جامعة داكا
المجلد ٢٥، العدد ٢٨، يونيو ٢٠٢٤ م، ص. ١٩٩–٢١٠
DOI: http://doi.org/10.62295/mazallah.v25i28.84

الإمام أبو القاسم القشيري وفكره الصوفي في غلاف النحو العربي: دراسة نصية

عبد الله زبير *

Abstract

Imam Abul Qasim al Qushayri and His Sufi Thought in the Framework of Arabic Grammar: A Textual Study

The literal meaning of the word Nahw is path, method or direction. The science of Nahw focuses on the correctness of the Arabic language. It discusses various rules to protect Arabic language from grammatical errors. Through these rules, Nahw serves as a guide to preserve the linguistic purity of Arabic. Its necessity is undeniable for comprehending the true essence of the Holy Qur'an and Hadith. The renowned scholar and jurist, Imam Abul Qasim al-Qushayri, used these grammatical rules to elucidate spiritual realities, paving the way for a new branch of knowledge: Spiritual Grammar or Al-Nahw al-Qulub (The Grammar of Hearts). His pioneering work is a source of inspiration for subsequent grammarians and Sufi mystics, such as 'Izz ibn Abdus-Salam, Ibn Maymun, and Ibn Aziba, some of whom contributed writings on this subject. In this article, the spiritual perspectives of Imam al-Qushayri have been analyzed based on the spiritual explanations of Arabic grammar provided by him. His views have been presented descriptively and analytically. Additionally, numerous examples have been cited from his two seminal works on spiritual grammar, *Al-Nahw al-Qulub al-Kabir* and *al-Saghir*. The researcher believes this study will inspire individuals to simultaneously engage in linguistic sophistication and spiritual purification.

***Keywords*:** Imam al Qushayri, al-Nahw, Arabic Grammar, Arabic Syntax, Spiritual Grammar, Sufi Grammar, Sufism.

* محاضر، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة داكا
jobairabdullahbayan@gmail.com

المقدمة

علم النحو هو علم أساسي من علوم اللغة العربية الذي يساعد على تصحيح اللغة وحمايتها من الأخطاء في الكلام. ويُعتبر النحو ضروريًا لتلاوة القرآن الكريم بشكل صحيح وفهم معانيه بوضوح. إن نشأة علم النحو متعلقة بالقصة المشهورة بتلاوة القرآن. يُروى أن أبا الأسود الدؤلي، الذي تعلم اللغة والأدب من سيدنا علي كرم الله وجهه، سمع أعرابيا يقرأ بعض آيات القرآن الكريم بلحن نحوي فغيّر ذلك معناها. وكان ذلك سببا في وضعه قواعد النحو حماية للقارئ من الخطأ في تلاوة القرآن الكريم. علم النحو يؤكد على ترتيب الكلمات وتحديد إعرابها في الجملة وعلم التصوف يؤكد بتزكية النفوس. وعلى الرغم من أن النحو والتصوف علمان مختلفان، إلا أن الإمام القشيري رحمه الله الباري جمع بينهما لأول مرة في تأريخ الأدب العربي وجاء بعلمٍ جديدٍ مشترك بين اللغة والقلب. هكذا حوَّل الإمام القشيري علم النحو من قواعد لغوية جافة إلى علم مليء بالإشارات الدقيقة والمعاني العميقة حتى أصبحت القواعد النحوية أداة لفهم الحقائق الصوفية والرموز الباطنية. كتب الإمام القشيري في هذا المجال كتابين: نحو القلوب الكبير ونحو القلوب الصغير. نستعرض أمثلة من كتابيه في هذا البحث كي تتضح أفكاره الصوفية عند القارئ.

تحليل الدراسات السابقة

نال كتاب نحو القلوب للإمام القشيري اهتمامًا كبيرا من الباحثين، إذ ألفت حوله العديد من المقالات البحثية. وقد ركزت هذه الأبحاث على دراسة أسلوب الكتاب، وخصائصه، ومميزاته الفريدة. ومن أبرز هذه المقالات يمكن ذكر ما يلي:

١. مكاشفة مدلولية ل"علامة الإعراب" في النحو الصوفي لأحمد بن عبد الكريم
٢. النحو الصوفي (نحو الأشارة او نحو القلوب) لدكتور حسن منديل حسن العكيلي
٣. الإمام القشيري وجهوده في أسلمة الدراسات اللغوية كتاب نحو القلوب نموذجا لدكتور الأستاذ أحمد قاسم كسار

ومع ذلك شرحَ د. إبراهيم البسيوني و د. أحمد حليم الدين الجندي كتاب *نحو القلوب* شرحا طويلا وموسَّعا. وتُبيّن هذه الشروح والدراسات السابقة أنّ الباحثين حاولوا في تحليل فكر الإمام القشيري الصوفي من خلال الجانب اللغوي والنحوي، مع الاستناد إلى القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال كبار الصوفية والزهاد. أمّا في هذا البحث، فقد اتبع الباحث منهجًا مختلفًا؛ إذ اعتمد اعتمادًا رئيسًا

على كتاب الإمام القشيري الآخر *الرسالة القشيرية*، ليكشف من خلاله عن فكره الصوفي الأصيل في إطار النحو العربي دون الركون إلى كتب التصوف الأخرى. ويركّز البحث على الأفكار الأساسية والمبادئ الرئيسة عند القشيري مع شرح مختصر وواضح، دون الدخول في التفاصيل اللغوية أو الشروح المطوّلة التي تناولها الباحثون السابقون.

حياة الإمام القشيري ومسيرته العلمية

كان الإمام ابو القاسم القشيري من هؤلاء العلماء الكبار والمفكرين الذين قاموا لدفاع الدواعي الباطلة عن التصوف وردّ الفرق الباطلة بالتعلىم والكتابة والوعظ والإرشاد. فهو ذو سلطة عظيمة في ميدان العلوم الإسلامية. يُعَدّ الامام القشيري أحد أبرز علماء التفسير والحديث والفقه والأدب والتصوف والعقيدة. يُعرف بأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري، من نيسابور بخراسان، وكان يتبع المذهب الشافعي. (Al Jahabi 1984, 227)

تشير الروايات التاريخية إلى أنه وُلِدَ في نيسابور في منطقتها المشهورة أُسْتُوى في شهر ربيع الأول من سنة ٣٧٦ للهجرة، الموافق لسنة ٩٨٦ للميلاد . (Al Baghdadi 1931, 83)

كان قشيري الأب وسلمي الأم ومات أبوه وهو طفل صغير. ثم قرأ الأدب والعربية إلي أبي القاسم الأليماني. بعد ذلك أراد الإمام أن يحضر إلى نيسابور كي يتعلم الحساب ويحمي قريته من الخراج. كانت رحلته إلى نيسابور نقطة تحول حياته، حيث انتقل من شاب ريفي عادي إلى أحد أئمة الإسلام. وفي نيسابور نفسها، التقى بالإمام أبو علي الدقاق الذي كان له دور الشيخ في مسيرته الصوفية، وبعد ذلك زوَّجه ابنته فاطمة بنت أبي علي الدقاق. (Subki 2012, 152)

شجَّعه الشيخ أبو علي الدقاق على طلب العلوم الدينية. ثم بدأ بالدراسة على نطاق واسع. ومن بين أساتذته المشهورين، تبرز الأسماء التالية بشكل خاص:

- أبو بكر محمد بن أبي بكر الطوسي (٤٢٠ ه)
- الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني (٤١٨ ه)
- أبو بكر بن فورك (٤٠٦ ه)
- أبو عبد الرحمن السلمي (٤١٢ ه)

كان الإمام القشيري قوي الذكاء والضبط. تُروى قصة مشهورة بين الإمام القشيري والشيخ أبي بكر بن الإسفرايني، كما نقلها ابن خلكان. وملخصها أن الإمام القشيري كان يحضر دروس الشيخ أبي بكر لعدة أيام ولم يكتب شيئا، فلاحظ الشيخ وقال: "إن هذا العلم لا يُنال بمجرد السماع، بل يحتاج إلى

تثبيت بالكتابة". عندها قام القشيري وأعاد على الشيخ كل ما سمعه من دروس تلك الأيام بدقة، فتحير الشيخ من قوة حفظه، وأدرك مكانته العلمية، فأكرمه وقال له: "لست بحاجة إلى حضور الدروس، بل يكفيك أن تراجع مصنفاتي". (Ibn Khallikan 2012, 177)

ارتقى القشيري إلى مرتبة الإمام في العلوم والفنون في فترة وجيزة فكان متفوقًا في الفقه والتفسير والحديث وأصول الدين والأدب والشعر وفن الكتابة، بالإضافة إلى تبحره في علم التصوف، مما جعله يجمع بين علم الشريعة والحقيقة، كما أشار إليه المؤرخون وعلى رأسهم ابن خلكان. (Ibn Khallikan 2012, 176-177)

وصف عبد الغافر الفارسي الإمامَ القشيري بأنه كان إمامًا مطلقًا، جمع بين الفقه والكلام وأصول الدين والتفسير والأدب والنحو وفن الكتابة والشعر. كان لسان عصره وسيد وقته، وسرّ الله بين خلق الله. كان شيخ المشايخ، وأستاذ الجماعة، ورائد الطائفة، والمقصود الأول لطالبي طريق السلوك، وبندار الحقيقة، وعين السعادة، وقطب السيادة، ومثال الكمال والجمال. لم يرَ أحدٌ مثله في كماله وبراعته، وقد امتاز بجمعه بين علم الشريعة وعلم الحقيقة. (Daudi 2002, 238)

ومع ذلك ترك الإمام القشيري التراث العلمي في الفنون المتعددة من التفسير والحديث والكلام والتصوف والنحو. لكن المصادر التاريخية تشير إلى أن معظم مؤلفاته قد فُقدت، ومن أبرز مؤلفاته:

- الرسالة القشيرية
- نحو القلوب الكبير
- نحو القلوب الصغير
- التفسير الكبير
- التحبير في التذكير
- آداب الصوفية
- لطائف الإشارات
- كتاب الجواهر
- كتاب المناجاة
- كتاب نكت أولي النهى
- أحكام السماع
- كتاب الأربعين في الحديث (Subki 2012, 155)

بعد وفاة الشيخ أبي علي الدقاق سنة ٤٠٥ هـ خلفه القشيري واختار صحبة الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي. ومع ذلك سلسلته الصوفية تُنسب إلى أبي علي الدقاق كما ذكر القشيري في رسالته كان الأستاذ أبو على يذكر سلسلته وهي كالتالي:

أخذ هذا الطريق عن النصراباذى و النصراباذى عن أبي بكر الشبلى و الشبلى عن أبي القاسم الجنيد البغدادي و الجنيد عن السرى السقطي و السرى عن معروف الكرخى و معروف الكرخى عن الفقيه داود الطائى و داود الطائى عن التابعين. (Qushayri 1979, 489)

انتقل هذا الإمام الجليل إلى جوار ربه في مدينة نيسابور، صباح يوم الأحد، السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة ٤٦٥ للهجرة. ذكر الإمام الذهبي أن عمره آنذاك كان تسعين سنة (Al Jahabi 1984, 227) بينما قال ابن كثير إن عمره كان سبعين سنة. (Ibn Kathir 2015, 118)

بعد وفاته، رآه الشيخ أبو تراب المراغي في المنام فقال له الإمام: أنا في أطيب عيش وأكمل راحة. (Subki 2012, 155)

مفهوم النحو العربي الصوفي ومكانة الإمام القشيري فيه

النحو علم يوضح أحوال الكلمات العربية من حيث الإعراب والبناء بواسطة قواعد محددة. واما التصوف فهو علم تعرف به كيفية تطهير النفس وتنقية الأخلاق وتهذيب الجَنان وتعمير الظاهر والباطن لحصول السعادة الأبدية.

كثيرًا ما يستخدم شيوخ الصوفية مصطلحات إشارية للتعبير عن الحقائق والأحوال والمقامات والمفاهيم العرفانية فيما بينهم. هذه المصطلحات تحمل معاني دقيقة تُفهم فقط من قِبل من تعمّق في هذا العلم أو ممن يملك المؤهلات لفهمها. ومن هذا المنطلق، من ليس لديه معرفة بهذه المصطلحات لا يقدر الوصول إلى معانيها الأصلية. أشار الإمام القشيري في رسالته إلى أن أهل هذه الطريقة اعتادوا استخدام مصطلحات خاصة فيما بينهم، بهدف التعبير عن معانيهم الداخلية بطريقة مبهمة .وقد تعمدوا إخفاء هذه المعاني عن غير المنتمين إلى طريقتهم، حرصًا منهم على حماية أسرارهم الروحية من أن تنتشر بين من لا يستحقها. (Qushayri 1979, 130) في ضوء ذلك، اختار الإمام القشيري علم النحو كأداة لإيضاح المصطلحات الصوفية بالإشارات. لقد استعان بمصطلحات وقواعد علم النحو لتفسير الحقائق الصوفية ووصف الأحوال العرفانية. وهذا ما يُطلق عليه نحو القلوب أو نحو الصوفي أو النحو الإشاري. قال الإمام القشيري رحمه الله في تبيين العلاقة بين النحو العربي والنحو القلوب:

النحو في اللغة هو القصد إلى صواب الكلام، يقال : نحوت نحوه أي قصدت قصده وهذا النوع في العربية يسمى نحواً لأنه القصد إلى صواب الكلام . فنحو القلب القصد إلى حميد القول بالقلب. (Qushayri 2005, 7)

وصف الإمام القشيري صاحب علم النحو العربي بلقب صاحب العبارة، وهو الذي ينشغل بقواعد اللغة العربية وظواهرها. أما من يدرس نحو القلوب، ويهتم بفهم الحقائق الصوفية والإشارات الباطنية، فقد أطلق عليه الإمام لقب صاحب الإشارة. (Qushayri 2005, 40)

كان الإمام القشيري عالمًا بارعًا في النحو العربي، لكنه لم يقدم نظريات جديدة فيه. بدلًا من ذلك، قدّم تفسيرات صوفية إشارية لقواعد النحو. وقد استخدم هذه القواعد لإبراز حقائق ومفاهيم الصوفية، حيث كان أول من أنشأ بهذا العلم وألف في هذا السياق كتابين بارزين هما نحو القلوب الكبير ونحو القلوب الصغير. لو لم يكتب الإمام كتابا سوى *نحو القلوب*، لكفاه لشهرته. فقد كان هو المنشئ الأول لهذا العلم الذي جمع بين قواعد النحو العربي وأسرار التصوف.

الكتب المصنفة في النحو العربي الصوفي

بعد الإمام القشيري، قام العديد من العلماء بتأليف كتب حول علم نحو القلوب، استكمالاً لجهوده في الجمع بين علم النحو والتصوف. ومن بين هذه المؤلفات، تبرز الكتب التالية كمراجع مهمة ومتميزة:

١. تلخيص العبارة في نحو اهل الاشارة لعز الدين عبد السلام المقدسي
٢. الرسالة الميمونية في توحيد الآجرومية لإبن ميمون
٣. شرح على الآجرومية لأحمد زروق الفاسي
٤. الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الآجرومية للإمام أبي العباس أحمد بن عجيبة

بالإضافة إلى ذلك، الكلمات في النحو القلوب *توجد* في كتب الإمام الغزالي والإمام محيي الدين بن عربي. ويمكن القول بثقة إن هذه الكلمات من تأثير الإمام القشيري.

منهج الإمام في استخراج القواعد الصوفية من قواعد النحو العربي

استخدم الإمام القشيري قواعد علم النحو لتفسير الحقائق الصوفية ولم يكن هدفه تعليم النحو لصيانة القارئ عن الخطأ في الكلام اللفظي. ولذلك لم يتعمق في تقديم الشروح التفصيلية لقواعد النحو الدقيقة. بل اعتبر أن القارئ لديه معرفة مسبقة بالمصطلحات النحوية ولا حاجة له لإعادة شرحها.

بدلاً من ذلك، أشار الإمام القشيري إلى بعض المصطلحات النحوية أو القواعد باختصار، واعتمد عليها في شرح الحقائق الباطنية وأفكاره الصوفية. مثلا تحدث عن الكلمة وأقسامها: الاسم والفعل والحرف. ولكنه لم يتطرق إلى تعريفاتها النحوية، بل ركز مباشرة على تفسيراتها الصوفية.

فكما أن الغرض من النحو هو تحقيق النطق الصحيح باللغة، فإن هدف الإمام القشيري من نحو القلوب هو تحقيق صفاء الأرواح وإرشاد السلوك إلى تزكية النفوس. لذلك قدم نحو القلوب كنموذج يُظهر كيف يمكن للغة أن تكون أداة لفهم المعاني العرفانية، وليس فقط للتحدث بالفصاحة فقط. فإن نقاء العقيدة وصفاء الأخلاق أهم من فصاحة اللسان باللغة العربية. فالشخص الذي لا يتحلى بالتقوى لن تنفعه فصاحة لسانه أو إتقانه للنحو العربي. ولهذا يعتبرون أن أهمية نحو القلوب تفوق أهمية النحو العربي، حيث أن تزكية النفوس مقدمة على تصحيح العبارات. وفي هذا السياق، تُعتبر إحدى أبيات الشعر لهلال بن العلاء الباهلي:

وما ينفعُ الإعرابُ إن لمْ يكنْ تقيً+ وما ضرَّ ذِي التَّقوى لسانٌ معجَّمُ

(Al Maqrizi 1994, 13)

الفكر الصوفي للإمام القشيري في نحو القلوب الكبير والصغير

عرض الإمام القشيري فكره الصوفي في كتابيه *نحو القلوب الكبير ونحو القلوب الصغير* مستندًا فيهما إلى قواعد النحو العربي. وسنذكر فيما يلي بعضا من أفكاره الصوفية العميقة.

أ- الاحوال السنية تأتي بعد الإيمان والعمل

قال الإمام القشيري رحمه الله: "قال أهل العبارة: أقسام الكلام ثلاثة: اسم وفعل وحرف، وقال أهل الإشارة: الأصول ثلاثة أقوال وأفعال وأحوال، فالأقوال: هي العلوم وهي مقدمة على العمل لقوله □ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) ثم تجب المبادرة إلى صالح العمال، ثم تأتي الأحوال مواهب من الله تعالى." (Qushayri 2005, 40)

قصد الإمام بـالأقوال الإيمان والإيمان هو تصديق بالجنان والقول باللسان والعمل بالأركان. نرى أن العمل يأتي بعد الإيمان مباشرةً، وأخيرًا يتم تحقيق الأحوال والمقامات العليا بالفرائض والنوافل. وقد دل على ذلك الحديث القدسي الذي يبين أن أقرب ما يتقرب به العبد إلى ربه هو الفرائض، ثم يرتقي بالقرب بالنوافل، حتى يصل إلى مرتبة المحبوبية الإلهية، فيكون الله سمعه وبصره ويده ورجله، ويستجيب دعاءه ويؤمنه إذا استعاذ به. (Bukhari 2002, 1617)

ب- كل شيء غير متعلق بالله غير مفيد والجمع والتفرقة حالتان مفيدتان

قال الإمام القشيري رحمه الله: "والكلام المفيد: ما كان اسما واسما أو فعلا وإسما وما عداه من الأقسام غير مفيد. وفي نحو القلب: مفيد وغير مفيد. فغير المفيد: ما ليس لله والمفيد: ما يسمع من الحق أو يخاطب به الحق وما سواه فلغو." (Qushayri 2005, 40)

أشار إلى قسمي الجملة في اللغة العربية: جملة إسمية (مبتدأ + خبر) وجملة فعلية (فعل + فاعل).

تحدث الإمام أولًا عن الأشياء غير المفيدة في الإنسان كما هو الحال في المركب غير المفيد في الكلام أي أن كل ما ليس لله فهو غير نافع بل مضر. وهناك أدلة كثيرة على ذلك في القرآن والسنة كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الشاعر لبيد حين قال: ألا كل شئ ما خلا الله باطل. (Bukhari 2002, 940) وفي موضع آخر وصف الدنيا بأنها ملعونة. (Tirmidhi 2016, 360)

ثم أشار الإمام القشيري إلى الجمع والتفرقة بقوله 'المفيد: ما يُسمَعُ من الحق أو يخاطِب به الحقَّ'. "ما يسمع من الحق" جمع و "يخاطب به الحق" تفرقة. قال الإمام القشيري في رسالته في شرح الجمع والتفرقة: وإذا خاطب العبد الحق سبحانه بلسان نجواه إمّا سائلا أَوْ داعيا أَوْ مثنيا أَوْ شاكرا أَوْ متنصلا أَوْ مبتهلا قام فِي محل التفرقة، وإذا أصغي بسره إِلَى مَا يناجيه بِهِ مولاه واستمع قلبه مَا يخاطبه بِهِ فيما ناداه أَوْ ناجاه أَوْ عرفه معناه أَوْ لوح لقلبه وأراه فَهُوَ يشاهد الجمع. (Qushayri 1979, 145)

ج- الحقيقة التي تخالف الشريعة باطلة ومردودة

قال الإمام القشيري رحمه الله:

الجمع على ضربين : جمع سلامة وجمع تكسير. وفي الإشارة كذلك : ما يسميه القوم الجمع على قسمين : جمع سلم صاحبه، وهو ما حفظ عليه الشرع في وقت غلبات الجمع . وجمع صاحبه مكسور الصحة، وهو ما لا يحفظ على مدعيه آداب العلم . والفرق بين جمع أقسام النحو في الخطاب وأقسام جمع نحو القلوب: أن كلا الجمعين في الخطاب – في مسائل النحو – صحيح، أما في نحو القلوب فأحدهما صواب والثاني غير صواب. الإشارة : جمع السلامة ما يسلم فيه لفظ الواحد كذلك جمع سلامة هذا الطريق ما يسلم العقل فيه من الشبهة، والفعل من البدعة، والنفس من الشهوة، والقلب من الغفلة والغيبة، والسر من الحجبة. وجمع التكسير ما تكسر فيه لفظ الواحد : كذلك المدخول من جمع القوم ما يزول عن عقود الحقيقة، ويزيغ عن حدود الشريعة . (Qushayri 2005, 13-14)

كان الإمام القشيري يعتبر الالتزام بالشريعة أمراً ضرورياً لا بد منه وواجه فتنة القائلين بنسخ الشريعة بعد حصول المرتبة العظمى في الحقيقة. في هذا السياق روي عن الجنيد أنه سئل عن الرجل القائل بنسخ العبادة المفروضة بعض حصول مرتبة عظمي في البر والتقوى فقال الجنيد: "إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله، وإليه رجعوا فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها وإنه لأوكد في معرفتي وأقوى في حالي."

علق الجنيد على هذا القول بأن هذا من أقوال قوم تهاونوا بالأعمال والحدود الشرعية ورأى أن من يرتكب المعاصي مثل السرقة والزنا احسن حالًا ممن ينطق بمثل هذا الكلام. وأكد أن العارفين بالله لم يهملوا شتات الأنواع من العبادات، بل أخذوها عن الله وأدوا حقها، راجعين بها إليه. (Al-Asfahani 1977, 378)

د- يتفاوت الناس بالفضل بتفاوتهم في المعرفة بالله

قال الإمام القشيري رحمه الله: "من الأسماء أسماء مخصوصة أفردت عن أشكالها بجعل رفعها بالواو ونصبها بالألف وكسرها بالياء وهي ستة أسماء: أبوك وأخوك وحموك وهنوك وفوك وذو مال. الإشارة: كذلك من الناس من خص عن أمثاله وأفرد بالأحكام من بين اضرابه وأشكاله. قال ذاك الرجل: ليس كُلُّ بَشَرٍ بِشْرٌ." (Qushayri 2005, 15-16)

يعني الإمام القشيري في هذا الموضع ببِشْرٍ، بشر بن الحارث الحافي رحمه الله ، الذي كان من كبار شيوخ التصوف. وقد ذكر الإمام القشيري سيرته في رسالته بإيجاز. والمقصود هنا أن الله تعالى يكرم الصوفية بمنحهم معرفته وقربه، فيرتقون من مرتبة العامة إلى مرتبة الخاصة. وإن كانوا في الظاهر يُرون كعوام الناس ولكنهم أهل الله وخاصته. كما قال الله تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (Al-Quranul Karim, 39:9)

ه- بركات الأولياء تفيد العوام

قال الإمام القشيري رحمه الله: "الأفعال على ضربين: لازم ومتعدي والإشارة كذلك أفعال العباد على قسمين لازم ومتعدي فاللازم ما تكون بركاته عى صاحبه مقصورة والمتعدي ما تتعدي خيراته على الغير. والفعل المتعدي على أقسام: منها ما يتعدي إلى مفعول واحد ومنها ما يتعدي إلى مفعولين ومنها ما يتعدي إلى ثلاثة مفاعيل. والإشارة كذلك العبد قد تتعدي بركاته إلى عالم من الناس حتى قال الشيوخ: لو أن وليا إجتاز ببلدة لغفر الله لأهل تلك البلدة. وفي الأثر: لو أن محزونا بكى في أمة لرحم الله تلك الأمة ببكائه."(Qushayri 2005, 16)

يعني الإمام القشيري في هذا الموضع أن هناك أناسًا يتمتع الآخرون بتأثيرهم ويصبحون قدوة يُقتدى بهم. يستفيد الناس من صحبتهم روحيًا وأخلاقيًا. وإذا كانوا في مكانٍ ما، فإن وجودهم يكون سببًا لهداية أهل ذلك المكان حيث جعلهم الله وسيلة الهداية لمن حولهم كما شبّه النبي صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح مع حامل المسك والجليس السوء مع نافخ الكير. (Bukhari 2002, 1407)

و- الصوفي إبن وقته وإذا فات الوقت فاتت الفرصة

قال الإمام القشيري رحمه الله: "خمسة أمثلة من الأفعال رفعها بالنون ونصبها وجزمها بسقوط النون وهي: يفعلان وتفعلان, ويفعلون وتفعلون وأنتِ تفعلين. والإشارة كذلك من الأفعال ما يكون مخصوصا ولاتقبل إلا بزيادة تقترن بها فهي يؤتى بها بشرط قران ينضم إليها. كرمي الجمار مثلا لايكون طاعة إلا في الحج. والسعي بين الصفا والمروة لا يكون عبادة إلا في الحج والعمرة." (Qushayri 2005, 17)

يقول الصوفية: الصوفي ابن وقته، وبهذا يُشيرون إلى أن الصوفي ينشغل في الحاضر بالعبادة التي هي الأفضل في وقته، ويؤدي ما يُطلب منه في تلك اللحظة. ولا يُشغل نفسه بالقلق والآمال حول المستقبل، بل يُفوّض أمره إلى الله. ولا يُفكر كثيرًا في الماضي، لأن التفكير في الوقت الذي مضى هو إضاعة لوقتٍ آخر في الحال. فالصوفي لا يُقلقه ما مضى أو ما سيأتي، إنما يهمّه الوقت الذي هو فيه الآن. ولهذا يحرص على القيام بالعمل الذي هو أكثر نفعًا وفائدة في الحاضر، وأكثر ضرورةً، وأحب إلى الله تعالى في تلك اللحظة. (Qushayri 1979, 131)

نتائج البحث

- كان الإمام القشيري رائدا في تقديم التفسير الصوفي لقواعد النحو، حيث لم يسبقه أحد في الكتابة عن هذا الموضوع.
- تأثر كتاب نحو القلوب للإمام القشيري في علماء النحو والصوفية الذين جاؤوا بعده، مما أدى إلى تأليف العديد من الكتب في هذا المجال.
- المفاهيم والأفكار الصوفية التي قدّمها الإمام القشيري في ضوء قواعد علم النحو تتوافق مع القرآن الكريم والسنة النبوية، مما يدل التزامه بالشريعة الإسلامية.
- نجح الإمام القشيري في تحقيق التوازن بين الشريعة والحقيقة، وأثبت أن التصوف الحقيقي يجب أن يكون مسدودا بقواعد الشريعة وأصولها.
- يمكن أن يكون نحو القلوب للإمام القشيري دليلًا عمليًا لمن يسعون إلى السلوك التصوف الصحيح ويرغبون في تزكية نفوسهم في العصر الحديث.
- قام الإمام القشيري بربط قواعد النحو بالمبادئ الصوفية الذي يعين على الحفظ والتذكر لكل شخص يريد السلوك والتقرب إلى الله.

المراجع

Al-Quranul Karim

Al-Asfahani, Abu Nuyaim, 1988, *Hilyatul Awliya wa Tabaqatul Asfiya,* Vol. 10, Beirut: Darul Kutub al-Ilmiyyah.

Al Baghdadi, Hafiz Abu Bakr Ahmad ibn Ali, 1931, *Tarikhu Baghdad Ao Madinatus Salam,* Vol. 11, Cairo: Maktabatul Khanzi.

Al Basyuni, Dr. Ibrahim, 1992, *Al Imam al Qushayri, Hayatuhu wa Tasawwufuhu wa Thakafatuhu,* Cairo: Maktabatul Adab

Al Bukhari, Abu Abdullah Muhammad ibn Ismail, *Sahihul Bukhari,* 2002, Damascus: Daru Ibni Kathir.

Al Daudi, Shamsuddin Muhammad ibn Ali ibn Ahmad, 2002, *Tabaqatul Mufassirin,* Beirut: Darul Kutub al-Ilmiyyah.

Al Jahabi, Imam Shamsuddin Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman 1994, *Siyaru Alamin Nubala,* Vol. 18, Beirut: Muassasatur Risala.

Al Tirmidhi, Abu Isa Muhammad Ibn Isa, 2016, *Sunanut Tirmidhi,* Vol.3, Cairo: Darut Tasil.

Ibn Khallikan, Abul Abbas Ahmad ibn Muhammad ibn Ibrahim, 2012, *Wafiatul Aiyan wa Anbau Abnaiz Zaman,* Vol. 3, Beirut: Darul Kutub al-Ilmiyyah.

Ibn Kathir, Abul Fida, 2015, *Al Bidayah Wan Nihayah,* Vol. 11, Beirut: Darul Kutub al-Ilmiyyah.

Al Maqrizi, Taqiuddin Muhammad Ibn Ali, 1994, *Mukhtasarul Kamil Fid Duafa wa Ilalil Hadith Li Ibn Adi,* Cairo: Maktabatus Sunnah

Al Qushayri, Abul Qasim Abdul Karim ibn Hawazin, 1979, *Al Risalatul Qushayriyyah,* Qairo: Matabi Muassasatu Darish Shiyab.

Al Qushayri, Abul Qasim Abdul Karim ibn Hawazin, 2005, *Nahw al Qulub,* Beirut: Darul Kutub al-Ilmiyyah.

Subki, Tajuddin Abu Nasr, 2012, *Tabakatush Shafiyiyyah al Kubra*, Vol.3, Beirut: Darul Kutub al-Ilmiyyah.